الفصـــل الســـادس

obeikandl.com

تمهيد :

بعد أن عرفنا أسس الحوار الإيجابية، والسلبيات المؤدية لإفشاله، ووسائله، فإنه من المنطق أن الحوار المبني على أسس إيجابية ووسائل مناسبة يأتي بنتائج إيجابية تؤدي لنجاحه. وعلى العكس، فإن الحوار القائم على سلبيات ووسائل غير مناسبة يأتي بنتائج سلبية تؤدي لإفشاله.

obeikandl.com

الآثار الحميدة للحوار المبني على أسس وضوابط والنتائج السلبية لغيابه

obeikandl.com

أولاً . الآثار الحميدة للحوار المبني على أسس وضوابط :

إذا قام الحوار على أسس سليمة تحققت آثار حميدة كثيرة أذكر، منها:

١- تبادل الآراء ووجهات النظر:

يتفاوت الأفراد – كما عرفنا في علومهم وثقافاتهم وظروفهم، وبالتالي تتفاوت أحكامهم ووجهات نظرهم وآراؤهم . وعندما يلتقون في حوار قائم على أسس سليمة فإنهم يتبادلون أفكارهم وآراءهم ووجهات نظرهم، ويتبادلون المعرفة والمعلومات، ويطلعون على مختلف الثقافات، ويقفون على آخر التطورات والاستحداثات، ويكون من نتائج هذا:

أ- توافر وزيادة حجم المعلومات حول موضوع الحوار .

ب- تنمية مهارات الأطراف .

ج- زيادة الخبرات التي يكتسبها الأطراف .

د- وضوح الرؤية بين الأطراف، وزوال الشك والارتياب وسوء الظن بينهم .

هـ- معرفة كل طرف لقدر نفسه وقدر الآخر .

و- فتح مجالات أوسع وآفاق أبعد لطموحات الأفراد وتطلعاتهم .

٢- التنسيق بين أطراف الحوار:

الحوار المبني على أسس سليمة يحدث تنسيقًا لمواقف ومخططات الأطراف، وبالتالي تقل تعارضاتهم ونزاعاتهم، وحتى إن لم تكن هناك تعارضات أو نزاعات بين طرفين، فإن الحوار بينهما ينسق موقفهما استعدادًا لدخولهما منفردين أو مجتمعين في حوار مع طرف ثالث. ولذلك فإننا نرى حوارًا يجرى بين طرفين لا يكون هدفه إلا التنسيق بينهما قبل لقاء الطرف الثالث معهما أو مع أحدهما، ويكون من نتائج هذا:

أ- عدم إهدار الوقت والجهد والمال للطرفين .

ب- التعرف على المشكلات أو العقبات القائمة أو المحتملة .

ج- الاتفاق على كيفية السير، وإزالة العقبات، وتحقيق الأهداف .

obeikandl.com

د- التخطيط للمستقبل بما لا يتعارض مع مصلحة الطرفين.

هـ- حدوث الاطمئنان النفسي بين الطرفين لمعرفة كل منهما خطوات الآخر.

٣- التعاون في تنفيذ ما اتُّفق عليه:

يكون التعاون من أفضل ثمرات الحوار الذي يرتكز على أسس سليمة، فبعد أن يتم تبادل الآراء ووجهات النظر، وتنسيق المواقف بين الطرفين تكون الخطوات التالية هي التعاون على تنفيذ ما تم الاتفاق عليه.

ومن نتائج هذا التعاون:

أ- تبادل الحقوق والواجبات بين الأطراف .

ب- البحث معًا عن أفضل السبل وأيسرها وأقلها ضررًا لتحقيق الهدف.

ج- البحث عن حلول للتغلب على المشكلات التي تواجه الطرفين أو أحدهما .

د- زيادة فرص التعاون بينهما في موضوعات أخرى، وزيادة التعاون المعنوي بينهما كالإرشاد والتوجيه.

٤- تحقيق الهدف:

إن غاية أي حوار – كما عرفنا سابقًا – هو تحقيق هدف ما لدى كل طرف، فإذا كان هناك حوار، وتوافرت فيه الأسس الإيجابية لدى الطرفين، فإن هدف الطرفين سوف يتحقق.

أما إذا تعارض الهدفان– مع وجود الأسس الإيجابية للحوار – فإن الهدف المنشود الذي لا يتحقق لأي منهما، سيتحقق جزء منه، ولكنه في هذه الحالة سيكون أفضل مما لو لم يتحقق للطرف هدفه بالكامل، بالإضافة إلى احتمال حصوله على ميزات من الطرف الآخر أو تنازلات، كما إنه سيتحاشى الضرر الذي يمكن أن يحدث لو انتهج الطرف الآخر أسسًا سلبية، فهو حينئذ لا يعطيه الفرصة لتحقيق أي قدر من هدفه، بل سيعمل على إضراره.

وقد يكون هذا الهدف خاصًا بمصالح الطرفين، وقد يتعلق بمصالح المجتمع المحلي أو قد يتعلق بمصالح أمة كاملة.

أما نتائج تحقق الهدف فهي كثيرة، أذكر منها :

أ- تحقق الراحة بعد الجهد .

ب- تحقق الراحة النفسية والهدوء بعد الاضطراب والقلق .

ج- الاستمتاع بما يدره الهدف المحقق من خير .

د- الاستعداد بهمة عالية لتحقيق هدف آخر .

٥- لَمُّ الشَّمْل:

إذا قام الحوار على أسس سليمة، وتحققت آثاره الحميدة السابقة فتبادل أطرافه الآراء ووجهات النظر، وحدث تنسيق وتعاون بينهم وحققوا أهدافهم، فإن أثر ذلك كله سيتمثل في لَمِّ شملهم، واتفاقهم على كلمة واحدة أو رأي واحد، يوحدون به صفوفهم، ويحسنون أوضاعهم، ويقفون صفًا واحدًا في مواجهة الأخطار التي يمكن أن تحدق بهم.

أما نتائج لم الشمل فهي كثيرة جدًا، وأذكر منها :

أ - التحول من البُعد إلى القرب .

ب - تحول من الكُره إلى الحب .

ج - التحول من الضعف إلى القوة .

د - التحول من الذل والمهانة إلى العزة والكرامة .

هـ - التحول من المحنة إلى المنحة.

و- التحول من الضَّراء إلى السَّراء .

ز- التحول من الابتلاء إلى النعماء .

ثانيًا . النتائج السلبية لغياب الحوار المبني على أسس وضوابط :

عندما يفتقد الحوار أسسه وضوابطه السليمة، فإنه تنتج عنه نتائج سلبية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول . نتائج سلبية سلوكية:

هذه النتائج تكون على عكس أو مقابل النتائج التي ذكرت للحوار المبني على أسس وضوابط فنجد النتائج التالية :

١- احتفاظ كل طرف بآرائه أو وجهات نظره، وينتج عن هذا:

أ- قلة حجم المعلومات الخاصة بموضوع الحوار.

ب- عدم تنمية مهارات الأفراد .

ج- قلة الخبرات المكتسبة .

د- عدم وضوح الرؤية بين الأطراف، وسيادة الشك والارتياب وسوء الظن بينهم .

هـ- جهل كل طرف بقدر نفسه وقدر الطرف الآخر .

و- انكماش طموحات الأفراد وتطلعاتهم.

٢- عدم التنسيق بين الأطراف، وينتج عنه:

أ- إهدار الوقت والجهد والمال.

ب- عدم معرفة المشكلات والعقبات القائمة أو المحتملة.

ج- عدم الاتفاق على كيفية السير، وكيفية إزالة العقبات، وكيفية تحقيق الأهداف.

د- السير بعشوائية وعدم التخطيط للمستقبل، فتتعارض مصالح الأطراف.

هـ- القلق والتوجس؛ بسبب الخوف مما يمكن أن يتخذه الطرف الآخر.

٣- عدم التعاون، لأنه لم يتم الاتفاق على شيء، وينتج عنه:

أ- ضياع الحقوق والواجبات بين الأطراف.

ب- عدم العمل لتحقيق الهدف .

obeikandi.com

ج- عدم البحث عن حلول للمشكلات .

د- انعدام فرص التعاون بينهما في مجالات أخرى.

٤- ضياع الهدف وينتج عنه:

أ- الاستمرار في المتاعب والجهود.

ب- استمرار الاضطراب والقلق.

ج- الحرمان من الميزات والمنافع التي تحدث عند تحقيق الهدف.

د- اليأس من محاولة العمل مرة أخرى على الوصول للهدف.

٥- التفرق والتشتت وينتج عنه:

أ- الاستمرار في الابتعاد بين الأطراف.

ب- استمرار وجود الكراهية بينهم.

ج- استمرار سيطرة الضعف عليهم.

د- العيش في ذلة ومهانة.

هـ- البقاء في المحن.

و- العيش في الضَّراء.

ز- العيش في الابتلاءات.

obeikandl.com

القسم الثاني . نتائج سلبية أخلاقية :

بالإضافة إلى النتائج السلبية السابقة، فإن غياب الأسس والضوابط في الحوار تنتج عنه – أيضًا– نتائج سلبية أخلاقية، أذكر بعضها، وأذكر موقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منها:

١– سيادة التحاسد بين الناس :

إن الذي لا يبني حواره على أسس وضوابط سليمة يغلب تارة ويُغلب تارة، وهو لا يحب أن يُغلب، فإذا كان هناك من هو أقوى منه حجة وعلمًا ومنطقًا وحرصًا على الحق، فهو دائمًا يضمر له الحسد، ويحب أن يزول علمه وحجته ومنطقه وتمسكه بالحق، والحسد نار محرقة، ومن بُلي به، فهو في العذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأعظم.

وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الحسد فقال:

"لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا. [١]

والحسد قد يؤدي بصاحبه إلى النار، يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

"الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب". [٢]

فإذا استقر الحسد في القلب فما فائدة فعل حسنات يأكلها الحسد ؟

كما إن عدم وجود الحسد يؤدي إلى دخول الجنة، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه لأيام ثلاثة :

"يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة". [٣]

فطلع في الأيام الثلاثة الرجل نفسه، فلما تتبعه أحد المسلمين وكاد يحتقر عمله وسأله: ما الذي بلغ بك ذلك؟

١– الحديث متفق عليه. [إحياء علوم الدين. ج ،٩ ص ١٦٧٦] .

٢– الحديث رواه أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن. [إحياء علوم الدين . ج ١، ص٧٦.]

٣– الحديث رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين. [إحياء علوم الدين. ج ٩، ص ١٦٧٦]

قال: "ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشًا ولا حسدًا على خير أعطاه الله إياه . "[١]

وإذا كان الحسد من النتائج السلبية لغياب الحوار المبني على أسس وضوابط، وإذا كان الحسد له نتائج سيئة على الإنسان في الدنيا والآخرة.. أليس من العقل أن يبنى حوارنا على أسس وضوابط سليمة فنكون رابحين غير خاسرين، حتى لو لم نحقق في حوارنا ما نريده بالكامل؟

٢- سيادة التكبر والترفع عن الناس:

إن الذي يتمسك بآرائه وأفكاره ويحاول أن يفرضها على الآخرين في حواره قد يواجه الرفض، فيصر على موقفه ويخرج من الحوار متكبرًا مترفعًا عن الناس، فيفقد حبهم وودهم له، ولا ينال إلا غضب الله عليه.. فيقول (صلى الله عليه وسلم) حكاية عن ربه (عز وجل):

" العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قصمته . " [٢]

ويبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عاقبة الكبر فيقول:

"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان." [٣]

ويا ترى كم من مثقال حبة من خردل من كبر عند من يتكبر على محاوره بفكره ورأيه وعلمه ولا يريد أن يصل معه إلى الإقناع بالمنطق والحق؟

أليست خسارة كبيرة أن يخسر الإنسان مصلحته وخصمه ودنياه وآخرته بحبات من خردل من كبر؟ تكون في حواره مع الآخر؟

وماذا لو كانت تلك الحبات مثاقيل كثيرة ؟

إنه هالك بلا شك ... يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

١- الحديث رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين.[إحياء علوم الدين. ج ٩، ص ١٦٧٦].

٢- الحديث رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة. وهو عن مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد. [إحياء علوم الدين. ج ١، ص ٧٧].

٣- الحديث رواه الإمام مسلم من حديث ابن مسعود [إحياء علوم الدين. ج ١١، ص ١٩٣٣].

obeikandl.com

"تحاجت الجنة والنار، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم؟ فقال الله للجنة :إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار :إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها". (١)

٣- انتشار الغيبة بين الناس:

إن الحوار الذي لا يبنى على أسس وقواعد سليمة، لابد أن ينتهي بعدم الوصول إلى الهدف منه، ولا يتوقف الأمر على ذلك، بل يحاول أحد الأطراف – أو الطرفان –أن يحكي كلام خصمه وحجته ومنطقه وفكره بهدف إثبات قصور كلامه أو عجزه أو نقصان فضله أو عمله، وفي كل ذلك هو يذمه، فهو ينسبه إلى الجهل أو الحماقة أو قلة الفهم أو البلادة، ويأتي بالدلائل للسامع حتى يصدقه فيما يحكيه على الخصم، وقد يكذب في سبيل ذلك، ويمكن أن يشاركه السامع له في الغيبة حتى لو كان ذلك بالسكوت على ما يقول، أو بالرغبة في معرفة ما حدث، أو في المجاملة له بإظهار اتفاقه معه في الرأي على الطرف الآخر، أو على الأقل تصديقه فيما يقول، وبسبب غياب الحوار الناضج فهو يأكل – ويقدم لغيره – لحم ميتة خصمه.

فيكفي في الغيبة أن الله (عز وجل) شبَّه صاحبها بأكل لحم الميتة فقال (تعالى):

"وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ". (٢)

كما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شدد على ذم الغيبة فقال:

" كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه".(٣)

والغيبة تتناول العرض والطبيعة والصفات.

وقال – أيضًا – عليه الصلاة والسلام:

"لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضًا وكونوا عباد الله إخوانًا ." (٤)

١- الحديث متفق عليه،من حديث أبي هريرة [إحياء علوم الدين ج ١٠، ص ١٩٣٤].

٢- سورة الحجرات. من الآية رقم ١٢.

٣- رواه مسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

٤- متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس، دون قوله "ولا يغتب بعضكم بعضًا".

٤- تزكية النفس:

قد يؤدي الحوار الذي لا يُبنى على أسس سليمة إلى غلبة أحد الأطراف وظهور حجته وإفحامه لخصمه، وقد يتبع ذلك ثناء هذا الطرف على نفسه، ومحاولة إظهاره لقوته وغلبته وتقدمه على خصمه، وقد تصل به تزكية نفسه إلى حد العجب الممقوت، وقد نهى الله (سبحانه وتعالى) عن ذلك فقال (عز وجل):

" فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ". [١]

وقال عليه الصلاة والسلام:

" إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك" .[٢]

٥- التجسس:

إذا كان المحاور لا ينوي السير على أسس الحوار السليمة، فإنه يعمل جاهداً على طلب عثرات خصمه ونقاط ضعفه وتتبع عوراته وبواطن أحواله، ويعد ذلك ذخيرة لنفسه يطلق منها سهامه إذا دعت الحاجة ليخرج منتصرًا عن طريق إقصاء خصمه أو إخجاله.

وقد نهى الله (سبحانه وتعالى) عن التجسس فقال:

" وَلا تَجَسَّسُوا ". [٣]

٦- الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم:

إن المحاور الذي لا تتوافر لديه الأسس السليمة للحوار يفرح إذا كان خصمه قليل العلم أو الحجة أو الثقافة أو غير قادر على الإقناع، فهو يفرح لكبواته ويغتم إذا رآه قادرًا على الإدلاء بحجته وإظهار الحق، فكل من أراد إظهار فضل نفسه، سره . لا محالة . ما يسوء خصمه، وهذا مناف لتعاليم الإسلام من أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ".[٤]

١- سورة النجم. من الآية ٣٢.

٢- رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجة.

٣- سورة الحجرات. من الآية رقم ١٢.

٤- رواه البخاري في كتاب الإيمان. حديث رقم ١٢.

obeikandl.com